مؤتمر كتابة التاريخ

عن بلاد الشرقين الأدنى والأوسط

فى يوليو الماضى إنعقد مؤتمر بجامعة لندن خصص للبحث فى موضوع كتابة تاريخ الشرقين الأدنى والأوسط « Historical Writing on the Nearandid dleM East. ». وقام بالدعوة لهذا المؤتمر ، وتعهد جميع لمراحل التى مر بها الإعداد له وتنفيذه «قسم التاريخ بمعهد الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن ، حتى تم إنعقاده بين يومى ٣٠ من يونيه ، ٤ من يوليو الماضيين . ويقوم قسم التاريخ الآن بإعداد كتاب جامع يشمل البحوث التى قدمت للمؤتمر ويلخص المداولات التى جرت فيـــه والنتائج التى انتهى إليها .

وقد مر هذا المؤتمر بمراحل عدة نتحدث منها عن الجوانب الآتية :

اولا : مرحلة الإعداد

ولا نعنى بها كيف ثبتت فكرة الدعوة لهذا المؤتمر ، وإنما نريد بها الخطوات التى اتخذت فعلا بعد استقرار الفكرة والعزم على تنفيذها .

وقد أخذ الأستاذ برنارد لويس Bernard Lewis ، أستاذ تاريخ الشرقين الأدنى والأوسط ورئيس قسم التاريخ بمعهد الدراسات الشرقية ، مهمة تنظيم هذه المرحلة على عاتقه ، وتعاون معه فيها زملاءه بالقسم . وبدأت هذه المرحلة بوضع تخطيط للموضوعات المتعلقة بتاريخ هاتين المنطقتين والتى يمكن أن تعرض على الأساتذة المدعوين إلى المؤتمر ليتناولوها ببحوثهم . واستقر الرأى من أو الأمر على أن تقتصر هذه الموضوعات على البحوث الخاصة بكتابة تاريخ هذه المنطقة منذ ظهور الإسلام إلى العصر

الحاضر ، ذلك لأن تاريخ العصر السابق للا سلام موضوع طويل يوسّع مجال البحث ويوزع الجهود ، هذا إلى أن روبرت دنتان Robert C· Dentan قام ببحث هذا العصر و نُشر لهذا البحث :

"The Idea of History in the Ancient Near East" (Yale, 1955.)

وفى ضوء هذا المجال الزمنى المحدد وزعت البحوث المقترحة بين مجموعات ثلاثة :

(ا) الكتابة التاريخية فى البلاد الإسلامية قبل تأثرها بالمؤثرات الغربية ، باللغات العربية والتركية والفارسية وهذا يشمل تاريخ الأقليات داخل البلاد الإسلامية .

(ب) الكتابة التاريخية عن الشرقين الأدنى والأوسط فى أوربا وأمريكا منذ العصور الوسطى إلى العصر الحديث .

(ح) الكتابة التاريخية فى البلاد الإسلامية فى العصور الحديثة ، بعد تأثرها بالمؤثرات الغربية . وهذا يشمل ، إلى جانب تطور التأليف التاريخى فى البلاد العربية وتركيا وإيران ، كتابة التاريخ فى بلاد ماوراء النهر وأواسط آسيا .

ثم وضعت قائمة طويلة بالبحوث التى يمكن معالجتها داخل هذا الإ طار الثلاثى ، نختار منها هنا بعض الأمثلة فمن موضوعات المجموعة الأولى :

١ — نشأة كتابة التاريخ عند العرب .

٢ — كتّاب السيرة ، والمغازى والفتوح .

٣ — التأثير الساسانى فى كتابة التاريخ الإسلامى .

٤ — مؤرخو الطبقات فى العصر الأول .

٥ — تأثير العلوم المنقولة إلى الإسلام فى كتابة التاريخ .

٦ — مؤرخو القرنين الثالث والرابع الهجريين .

٧ — مؤرخو السلاجقة .

٨ — مؤرخو الحرب الصليبية .

٩ — مؤرخو الفِـرق .

١٠ — مؤرخو المماليك .

١١ — كتب التراجم فى العصور المتأخرة .

١٢ — ابن خلدون .

١٣ — نشأة كتابة التاريخ المحلى وتطورها : فى مصر ، سوريا ، شمالىّ إفريقيا ، إيران ، بلاد العرب الجنوبية ، الأندلس .

١٤ — نشأة الكتابة التاريخية فى الدولة العثمانية .

١٥ — المؤرخون العثمانيون فى القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين .

١٦ — تاريخ الأقليات : الأرمينية ، المارونية ، القبطية ، اليهودية .

ومن موضوعات المجموعة الثانية :

١ — الكتابات البيزنطية عن التاريخ الإسلامى .

٢ — المؤرخون الأوربيون للحروب الصليبية فى العصور الوسطى .

٣ — مؤرخو عصر النهضة

٤ — مؤرخو القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين .

٥ — الكتاب الانجليز وتاريخ تركيا .

٦ — مؤرخو القرنين التاسع عشر والعشرين

٧ — المؤرخون الروس .

٨ — المؤرخون الأمريكيون .

ومن موضوعات المجموعة الثالثة :

١ — فلسفة التاريخ .

٢ — الطرق الحديثة فى الكتابة التاريخية ووسائلها : نشر المخطوطات ، النقوش ، الوثائق ، المحفوظات الخ .

٣ — الموضوعات الجديدة : التاريخ الاجتماعى ، الاقتصادى . . الخ .

٤ — تأثير الاحتكاك الثقافى وتنوع الحضارات .

٥ — القومية والتطورات السياسية .

٦ — تطور الدراسات التاريخية المحلية : فى مصر ، سائر البلاد العربية ، تركيا ، إيران ، الجمهوريات السوفيتية .

٧ — الجمعيات التاريخية والثقافية وآثارها .

٨ — الشّعبية فى الكتابة التاريخية : تراجم الأبطال ، القصص ، الكتاب الشعبى ، الصحف : يومية وموسمية ، السينما ، الراديو ، المسرح .

٩ — تدريس التاريخ فى الجامعات والمدارس : موقف المدرسين ، تدريبهم وإعدادهم ، البرامج ، الكتب المدرسية ، المكتبات ، استجابة الطلبة .

ثانيا دراسة البحوث :

ورأى منظمو المؤتمر كذلك أن من المفيد دراسة البحوث التى يعدّها الأساتذة للمؤتمر ومناقشتها مناقشة موضوعية تفصيلية ، فى ما يشبه لجنة تحضيرية ، فى اجتماعات أسبوعية ؛ حتى يمكن تخصيص جلسات المؤتمر جميعها لمناقشة تدور على مستوى عالٍ فى ضوء ما قامت به هذه اللجنة التحضيرية . ولتحقيق هذا قرر قسم التاريخ دراسة هذه البحوث فى جلسات المناقشة بالقسم « The Seminars » على أن يشترك فى هذه المناقشة أعضاء

هيئة التدريس بقسم الشرقين الأوسط والأدنى وطلبة الدراسات العليا ، وفى مكتبة القسم ومكتبة المعهد من المراجع ما ييسر هذه المهمة . ولتعزيز قسم التاريخ بهذه المناسبة دُعى أربعة من شباب المؤرخين من بلاد الشرقين الأدنى والأوسط للإقامة فى لندن فصلين دراسيين ، من أول يناير إلى نهاية انعقاد المؤتمر ، على نفقة المؤتمر . وروعى فى اختيارهم تمثيل الاتجاهات الرئيسية الثلاثة العربية والتركية والفارسية . فدُعى الدكتور ارشمند كران E Kuran من تركيا ، والأستاذ منوچهر ستوده M. Sotoodeh من إيران، ودُعىَ من لبنان الدكتور كمال سليمان الصليبى K. S. Salibi ومن مصر دُعى كاتب هذه السطور .

وتتابع وصول البحوث إلى مقر المؤتمر بلندن منذ أوائل ديسمبر سنة ١٩٥٧ ، مكتوبة بلغات مختلفة ، ورئى أن تكون اللغتان الانجليزية والفرنسية لغتين رسميتين للمؤتمر ، على أن يترجم ما كتب بغيرهما إلى اللغة الإنجليزية . ووزعت هذه البحوث أوّل فأوّل على الأساتذة الذين قبلوا الدعوة للاشتراك فى المؤتمر حتى يقوموا من جانبهم بدراستها استعدادا لانعقاد المؤتمر . وفى جلسات المناقشة التحضيرية بلندن تولى الأستاذ برنارد لويس الرئاسة ، وكان يدير المناقشة بحيث يكون البحث كلّه ، كوحدة متماسكة ، موضوع تقدير وتقويم من حيث المادة والمنهج ، وبحيث تتجه المناقشة بعد ذلك إلى جميع جزئيات البحث وإن اقتضى هذا ، فى معظم الأحيان متابعة الكاتب فيما كتبه فقرة بعد فقرة . وخُصّص لكل جلسة من هذه الجلسات الأسبوعية مقرِّران ، يقوم كل منهما ، منفردا ، بتسجيل النقط الرئيسية فى تقرير خاص ، ثم يشتركان معاً فى إعداد تقرير موحد موجز للاسترشاد به عند المناقشة النهائية ، وليُعرض على صاحب البحث ليقف منه على نتيجة هذه المناقشة التفصيلية لموضوعه قبل المناقشة النهائية فى جلسات المؤتمر .

وقد لوحظ فى هذه الاجتماعات الدورية أنّ كثيراً من أساتذة معهد الدراسات الشرقية كانوا يحضرونها ويأخذون بنصيبهم فى المناقشة، كلّ فى جهة اختصاصه ؛ وبهذا تعاونت الخبرات المختلفة بالمعهد على تهيئة أكبر قدر ممكن من العناية والدراسة فى هذه المرحلة التحضيرية الطويلة التى استغرقت نحو ستة أشهر .

ثالثا : انعقاد المؤتمر :

عقد المؤتمر أربع عشرة جلسة رسمية بين يومى ٣٠ من يونيو ، ٤ من يوليو، وذلك باستثناء اليوم الثانى من يوليو الذى خصص بطوله لاجتماعات غير رسمية يتعرف فيها أعضاء المؤتمر بعضهم ببعض ، ويتناقشون ، فى مجموعات صغيرة ، فى مشكلات معينة تثير اهتمامهم ، وليقف كلّ على مدى مساهمة زملائه فى النشاط العلمى وعلى المشروعات التى يعدّونها للدراسة والبحث فى المستقبل .

وفى ضوء الموضوعات التى قدمت فعلا للمؤتمر اختصت كل جلسة من الجلسات الرسمية بفترة زمنية محددة أو بمجموعة من الموضوعات المتقاربة. وبهذا اختصت كتابة التاريخ عند العرب منذ نشأتها إلى القرن الثالث الهجرى بجلسة ، وخصصت جلستان لتطور هذه الكتابة التاريخية حتى القرن الثانى عشر الهجرى ؛ وعقدت هذه الجلسات فى اليوم الأول ، إلى جانب جلسة الافتتاح . وبحثت الكتابة التاريخية عند كل من الفرس والترك ، فى جلسة مستقلة ، وبحث تاريخ الأقليات فى جلسة ثالثة فى اليوم الثانى . وخصّص اليوم الثالث للاجتماعات الفرعية كما قدمنا . وفى اليوم الرابع خصصت جلستان للأوربيين والبيزنطيين حتى العصور الوسطى ، ثم للأوربيين منذ العصور الوسطى إلى القرن التاسع عشر . وفى الجلسة الثالثة فى نفس اليوم عرضت موضوعات مؤرخى الإسلام من الأوربيين

والأمريكيين والروس فى القرن العشرين . أمّا اليوم الخامس والأخير فشهد ثلاث جلسات لدراسة الكتابة التاريخية فى العصر الحديث ، بأنواعها المتعددة ، وفى اللغات المختلفة . ثم عقدت فى نهاية اليوم الجلسة الختامية للمؤتمر .

وقد رأس جلسات المؤتمر الأستاذ برنارد لويس باستثناء جلستين، تولى رئاستهما زميله بالقسم الأستاذ باون ، كان الأستاذ لويس فيهما مقررا لموضوعى كتابة التاريخ عند العرب من القرن الرابع إلى الثانى عشر الهجريين ، وتطور الكتابة التاريخية عند الأتراك حتى القرن الثانى عشر .

أما اللجان الفرعية التى تكونت لدراسة جوانب معينة تهم المؤتمر فهى خمس لجان تفرغت لدراسة الموضوعات الآتية :

١ — كتابة التاريخ عند العرب ، ومقررها الأستاذ جب H. Gibb ، من جامعة هارفارد .

٢ — الكتابة التاريخية عند الفرس والترك ، ومقررها الأستاذ شپولر Spuler ، من جامعة همبورج .

٣ — تاريخ الأقليات ، ومقررها الأستاذ حوراني A.H. Hourani ، من جامعة أكسفورد .

٤ — كتابة التاريخ عند الغربيين ، ومقررها الأستاذ فراى R. Frye من جامعة هارفارد .

٥ — الدراسات التاريخية فى العصر الحديث ، ومقررها الأستاذ فون جرينباوم Von Grunebaum ، من جامعة كاليفورنيا .

وقد عقدت هذه اللجان جلسات متعددة انتهت فيها إلى توصيات عرضت على المؤتمر فى الجلسة الختامية فقرر إحالتها إلى لجنة تنظيم المؤتمر التى يرأسها الأستاذ برنارد لويس .

ملاحظات عامة :

١ — اشترك فى هذا المؤتمر عدد كبير من المستشرقين الذين انتفعوا بمجهودات أسلافهم وتطوروا بها فى سبيل الاكتمال ، والذين لا يزالون يعملون على تهيئة طبقة جديدة من الدارسين ليواصلوا بعدُ جهودهم . ومن هؤلاء الأعلام نذكر الأساتذة : جب ، فوكه ، شاخت ، كاود كاهن ، رانسمان ، شبولر ، جرينباوم ، وغيرهم وغيرهم .

ومن الشرقيين الذين اشتركوا ببحوثهم فى هذا المؤتمر نجد : من مصر الأستاذ الدكتور جمال الدين الشيال ، وكاتب هذه السطور ؛ ومن سوريا الدكتور سامى الدهان ، ومن العراق الدكتور عبد العزيز الدورى ، ومن تركيا الأستاذ إنلچق والدكتور كران ، ومن لبنان الأستاذ أمين فارس والدكتور كال الصليبى ، ومن إيران الأستاذ مينوى والأستاذ ستوده .

٢ — يلاحظ أن مجموعة من الباحثين عالجوا موضوعات متقاربة أو فترات زمنية متجاورة ، وأن بعض الموضوعات الأخرى لم تكن موضع عناية كافية ، فازدحمت الأولى ، أو كادت ، بالبحوث ، وظهرت حاجة الأخرى إلى الدرس والبحث . ولعل السر فى هذا أن مجال الاختيار كان واسعا أمام الباحثين وأن هذه الموضوعات التى اقترحتها اللجنة التنظيمية كانت حيوية غزيرة التنوع ؛ هذا إلى جانب ترك الحرية الكاملة للأساتذة المساهمين ببحوثهم فى اختيار الموضوع الذى يكتبون فيه إنْ من بين الموضوعات المقترحة وإنْ من غيرها .

٣ — كانت دراسة البحوث ومناقشتها فى المرحلة التحضيرية فكرة موفقة ، وقد تمت فى هدوء وبطء وبعناية وإتقان ، وانتهت بنتائج مدروسة مركزة تقدم بها المقررون فى جلسات المؤتمر الرسمية بجانب البحوث نفسها .

فساعدت على إنارة طريق المناقشة ووفرت كثيراً من الوقت للدراسة الإنشائية البنّاءة .

٤ — توفرت الجهود منذ اللحظة الأولى لتجعل من المؤتمر أداة ناجحة إلى أبعد حدود النجاح الممكنة من حيث تركيز البحث . وتتمثل هذه الجهود فى الخطة التفصيلية التى وضعت قبل أن تتخذ الخطوات الفعلية لتنفيذه . وقد روعى فى هذه الخطة التفصيلية تغطية النواحى المختلفة للكتابة التاريخية قديمها وحديثها ، فى الشرق وفى الغرب ، والعناية بالطريقة والمنهج فى التأليف ، والاهتمام بمقدار ارتباط هذه الكتابة التاريخية بالواقع وبالحياة من حيث تنوع الموضوعات التى تناولتها الكتابة التاريخية ، ومن حيث مراعاة التجاوب بينها وبين احتياجات الدارسين فى الجامعة والمدرسة ، بل من حيث تبسيط هذه المادة التاريخية لتصبح فى متناول العامة أيضا عن طريق التمثيل والسينما والراديو والصحف اليومية والدورية وقصص البطولة وتراجم الأبطال .

٥ — ومع أن الدعوة إلى المؤتمر كانت موجهة من قسم التاريخ (للشرقين الأدنى والأوسط) ، وموضوع الدراسة كان خاصا بالجانب التاريخى الصرف وجـــدنا أساتذة الأقسام الأخرى يسهمون بعلمهم وبخبرتهم ، بل ببحوثهم أيضا ، متعاونين للعمل على نجاحه علميا . وقد حضر كثير منهم جلسات المناقشة التحضيرية للبحوث والجلسات الرسمية للمؤتمر ؛ فكان هذا عاملا من العوامل التى هيأت للمؤتمر مجموعة من الكفايات العلمية المتنوعة .

٦ — ويمر المؤتمر الآن بمرحلته التكميلية التى يقع عبئها على الأستاذ برناردلويس وزملائه ، وهى مرحلة تنسيق البحوث التى قدمت للمؤتمر ومراجعة المناقشات التى دارت فيه ، ودراسة تقارير اللجان الفرعية

وتوصياتها ، وإخراج هذا كله فى صورة كاملة أو مختصرة فى كتاب جامع ليكون فى متناول المهتمين بهذا النوع من الدراسات .

وبعد ، فقد نجح المؤتمر ، فى رأيى إلى حد بعيد فى تحقيق هدفه العلمى بتعاون المشرفين عليه الدّاعين إليه ، والأساتذة المشتركين فيه ، وأرجو أن تظهر الجهود التى انتهى إليها فى صورة كاملة وفى وقت قريب حتى يزيد بناء البحث العلمى فى هذه الناحية لبنة جديدة قيمة تساعد ، فيما بعد ، على مواصلة الجهد لخدمة العلم والتطور به فى سبيل الاكتمال .

محمد مهدى محمد أحمد